

المجلة

السنة الخامسة

الجزء الخامس

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

٢٧ رجب سنة ١٣٢٤

نيويورك - ١٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٦

صوت من بعيد

اذا تصفحنا الصحف الأوروبية والاميركية . واصفينا الى مجالس الشورى وكلام الخطباء فيها . وقرأنا اخبار مصر في صحفها . خيل لنا ان مصر قائمة قاعدة في هذا الوقت وافريقيا وآسيا وراءها تشد ان ازرها . فنتساءل قائلين : ماذا اصاب الحبيبة بعد فراقنا لها . ولكن من عاش في مصر دهرًا طويلاً وخبر ما ظهر وما بطن من احوالها علم ان هذه الضوضاء ناشئة عن تجسيم الكتاب الاوروبيين والمصريين لحوادثها جرياً على العادة

﴿ كتاب من مصر ﴾ وقد كان هذا معتقداً واذا بالبريد المصري يحمل الينا كتاب صديق معروف في مصر بكونه دكتوراً ومؤلفاً . واليك شيئاً من هذا الكتاب نشره بلا حذف ولا تبديل

« حالة مصر عدم . وندم . تعصب في الدين . وكره للاجانب قتال . واستبداد في المحتلين . ورشوة في العمال . ضغط على القضا . وفلاح مقيم على الهوان . وادارة تدار بالقدر والقتضا . وصحافي بعده الطوفان - كرومر كنيايا ابن ابي سلى من يصبه لا يسلم . ومن اخطاه يهرم . دفعه الخرق في السياسة لامل ان يجني من الشوك عنباً . وقاده الى ان يقتل من العنكبوت طنبا . فاذل من القوم زعيمهم فاهاج غضبه . وعززت لثيمهم فرفع عليه عقبه .

ولي الامر تاجر والمؤتمر امير والعالم عندهم كافر والجاهل مشير . القاضي محابي والحاكم جابي .
وعامل الترك يسترحركته النقص والاشتغال . وبعدم صرف الوزارة زاد الاغتيال . لا
تسمع الا « المسلمون والرسول » والكل زعيم غير مسئول . هذا ما اتمه محمد عبده واسسه
رياض . والآن الامير يعضده والحال في الخاض . فمصر اليوم ضد الحجاج بالامس . فان
انجبت كان ولا شك بغل علينا عليه ولنا الرفس . وان اجهضت فرما يعتري اهل الفتن
التعب ويزول عنا النخس . فنحن بين شافونين . اتخذنا الوطني دخلاء مزاحمين . واعتبرنا
المحلل جواسيس عليه مأجورين . فاصبحنا بفضل جرائدنا الكل اعدانا . وصح فينا « ما بين
حانا ومانا » . . .

ولم ننشر هذا (الكتاب الشعري) موافقتنا على ما ورد فيه فانه لاشيء ادعى الى
المبالغة من الشعور بل غرضنا من نشره اولاً ان ندل على حالة النفوس اليوم في مصر وثانياً
ان ندخل منه الى موضوع نريد الكلام فيه لانه من اهم المواضيع للشرق وابنائهم . واذا
كانت الجامعة قد بعدت عن الشرق فان قلبها لا يزال فيه . وهي انما تنشر له

المواضيع الثلاثة

كلامنا في هذا الفصل عن ثلاثة مواضيع اشتغلت بها الصحف الاوروبية والمصرية في
هذا الصيف

(الاول) هل في مصر تعصب

(الثاني) هل في مصر حزب وطني وله زعيم

(الثالث) هل الحركة الاسلامية موجودة في افريقيا وآسيا ومركزها مصر

اما الموضوع الاول فقد بحث فيه الجرائد المصرية بعد قول وزير خارجية انكلترا
في احدى خطبه ان حادثة دنشواي نشأت عن تعصب ديني بعد حادثة طابه (١) فلم تبق

(١) حادثة طابه هي الخلاف الذي وقع بين الدولة العثمانية وحكومة مصر بشأن
الحدود المصرية ولما فازت حكومة مصر بما طلبته بمساعدة انكلترا تمهيجت الافكار في مصر
فتعرض بعض الاهالي في قرية دنشواي لضباط من الانكليز كانوا يصطادون الحمام فقتلوا
احدهم وجرحوا رفاقه . وقد حوكم المتهمون في محكمة عسكرية مخصوصة فحكم على بعضهم
بالشق وعلى بعضهم بالسجن وبرىء بعضهم . اما الاهالي فيقولون ان الضباط هم الذين
اغندوا عليهم لانهم كانوا يصيدون حمامهم فضلاً عن ان النار اضطربت في احدى عششهم
من رصاص البنادق فظنوا ان الضباط تعمدوا احراقها

جريدة في مصر الا ونفت عن مصر تهمة التعصب . واما الموضوع الثاني فقد بحث فيه جرائد مصر بعد قول جرائد اور وبا ان « زعيم الحزب الوطني في مصر هو مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء » واما الموضوع الثالث فقد كان مجال اقلام اكثر الصحف الاوروية المهمة كالطنان والديبا وغازت دي كولونيا والتمس وذلك بعد قول السراودارد غراي ناظر خارجية انكثرا ان حادثة طابه في مصر اثار افكار المسلمين ليس في مصر فقط بل في ما وراءها من الاقطار الاسلامية في افريقيا وآسيا . قالت تلك الصحف : وقد اصبحت مصر مركز تلك الحركة

هل في مصر تعصب

١

التعصب الجنسي

قبل ان ننظر في وجود التعصب وضره او فائده يجب ان ننظر في ماهيته وحقيقته . فالتعصب في اللغة او الاعتصاب اجتماع الناس عصبه . و « تعصب لفلان » مال اليه و « على فلان » مال عليه . و « تعصب الرجل في دينه ومذهبه كان شديداً غيوراً فيها ذاباً عنها » فيدخل اذاً في ذلك نوعان من التعصب « التعصب الجنسي » و « التعصب الديني » ويظهر في هذا العصر ان التعصب الجنسي امر مستحسن مباح فان كل امة من الامم تعلم اليوم ابناءها في المدارس انها خير الامم واعظمها والغرض من ذلك اثاره حماسهم لوطنهم وزيادة وطنيتهم . ونحن لا نقول ان هذا الامر ممدوح ولكن هذا ما يقع اليوم في جميع العالم الذي يسمونه متمدناً . فالانكليزي يقول رافعا رأسه انا انكليزي . والفرنسوي يقول بكبرياء انا فرنسوي . وانك لترى ابناء اصغر الامم الاوروية والاميركية يفخرون بجنسيتهم ويفضلونها على اكبر جنسية . وما ذلك الا نتيجة تربية العصبية . وقد عد المؤرخ ابن خلدون من المتقدمين مبداء « العصبية » في جملة المبادئ الفعالة في انشاء الممالك والامم وترقيتها والنهوض بالافراد

ويظهر ان قادة الامم وملوكها يبالغون احيانا في هذا المبدأ ويجولونه عن الغرض الذي وُضع من اجله وهو النفع العام اذ يستعملونه في تفهم الخاص . مثلاً كأن يتخذوا العصبية والوطنية آلة يدوسون بها حقوق الناس في داخل امهم او حقوق الامم الأخرى باثارة حروب عدوانية عليها . وكل من اجتراً من رعيته على ان يرفع صوته

بالشكوى أثاروا عليه من يتهمه « بخيانة الوطنية » ولذلك يتالف في داخل الامة حزب جديد يقف في وجه هذه المطامع . وقد ظهرت هذه الحالة باجلى مظاهرها في فرنسا في السنوات الاخيرة . فان حزب الناسيونالست الجامع بين اناس من انصار الملكية وخصوم الجمهورية من الجمهوريين انفسهم المستائين من بعض مبادئها يتخذ « مبدأ الوطنية » سلاحاً يخدم به مآربه . فاذا انتقد بعضهم بعض قواد الجيش او كان ممن ينتصرون لدريفس في اثناء الحادثة او قال بتنقية كتب المدارس من اطراء المجازر البشرية التي يسمونها حروباً فانهم يحملون عليه حملة شعواء باسم الوطنية . فكان هذا « التمسك الغائي » بالوطنية تمسكاً لا يُقصد به الا خدمة حزب دون حزب داعياً الى رغبة الحزب المعارض لذلك الحزب في مبادئه ان يقول لهم : تعالوا معنا لننظر في مبدأ الوطنية نظر الناقد البصير كما نظرنا في كل مبدأ وكل تعليم . ثم وضعوا ان هناك وطنيتين . واحدة باطلة وهي التي مدارها على احتقار باقي الاوطان واتخاذ مبدأ الوطنية سبيلاً لكمم المساوىء والاثام وشجيع الظلم والظلام واثارة الحروب التي يخرج منها الغالب على الدوام شرّاً من المغلوب . ووطنية صحيحة وهي التي مدارها على الجد والعمل ضمن دائرة السلم والعقل لانماء مواهب الوطن وقواه دون اعتداء على احد او كراهة لاحد وبذلك تحبه باقي الاوطان وتقترب منه بدل ان تنفر عنه

فانت ترى ان مبدأ الوطنية شبيه بالمبدأ الديني من حيث انه يرتقي بارثقاء الشخص الآخذ به . وبعبارة اخرى نقول ان « التعصب الجنسي » اذا كان المراد به « ميل الانسان الى بني جنسه » والسعي في تفهمهم على قدر طاقته فلا غبار عليه . ولكن اذا كان المراد به كراهة باقي الاجناس والام فهو تعصب مذموم . وضره اكثر من نفعه لان ضره عام ونفعه خاص . ونفعه الخاص نفسه لا يدوم

التعصب الديني

ثلاث آفات له

هذا من حيث التعصب الجنسي . واما « التعصب الديني » فيختلف عن « التعصب الجنسي » اختلافاً عظيماً من عدة وجوه . منها وهو اهمها ان كل امة هي مختلفة المذاهب والاديان وليس في الارض امة واحدة ساكنة في بقعة واحدة وهي على دين واحد . « فالتعصب الجنسي الشديد » اذا وقع في امة فانه يقع من

نفسها على غيرها فهي قد تستفيد منه وتجنّي نفعاً . واما «التعصب الديني الشديد»
فاذا وقع في امة فانه يقع من نفسها على نفسها لتنافر المذاهب التي فيها . وهناك
الطامة الكبرى

وبعبارة اخرى تقول ان التعصب الجنسي يصح ان يكون سلكاً لنظام امة
لانه مدعاة الى جمعها بعضها الى بعض . واما التعصب الديني فلا يصح ان يكون
سلكاً لنظام امة لانه مدعاة الى تفريقها . وفي تفريقها ضعفها وانحطاطها وتداخل
الاجنبى في شؤونها

ومن آفات التعصب الديني غير ما ذكر آفة هي شر الآفات لانها تقصد النفوس
والقلوب وتشغل الناس عن المصالح والمنافع . فالامة في هذا الزمان لا تكبر ولا
تعظم الا بالعمل والجد واستخراج خيرات الارض واثارة النشاط والقوة العملية في
النفوس والانصراف الى الصنائع والمتاجر والفنون . وهو عمل يقتضي في الامّة
ان تستجمع له كل قواها وتنفذ فيه كل نشاطها . وكل المنازعات والمنافسات التي
تقوم بشأنه انما تزيد هذا النشاط وهذه القوة . فالتعصب الجنسي لا يضر من هذا
الوجه بل قد ينفع الامن حيث استياء باقي الامم من هذا التعصب والتشديد على
صاحبه عند عقد المعاهدات التجارية . اما التعصب الديني فانه يفسد جوافكار
الامة اذ يلهيها بالمجادلات الدينية العقيمة والمناظرات التافهة السقيمة عن العمل
لمصالحها ومنافعها . واي شيء كالمجادلات الدينية والمنافسات الملية يثير النفوس
ويغني نشاطها سدىً ويشغلها عن كل شغل . ان عند الافرنج رسماً مشهوراً
يرمزون به الى حالة كهذه الحالة . وهو رسم اهل بزنتيه (١) يتخاصمون ويتنازعون

(١) هي القسطنطينية قديماً و «الاستانة» اليوم

في خلافاتهم الدينية التافهة بينما ترى محمد القاتح يجنده الجرار تحت اسوار مدينتهم يشدد عليها الحصر لفتحها . وقد فتحها واستولى عليها ولا بدع فما برحت قوة العمل قاهرة قوة الجدل

ثم نذكر للتعصب الديني شراً عظيماً آخر . وهذا الشر هو قيام دولة الضعفاء والجنباء والكسالى في الامة وتفوقهم على اهل الذكاء والجد . فكل قاصر ضعيف الهمة قليل الادراك صغير النفس يمكنه ان يتصدر في الامة ويعلو على اهل الذكاء والجد فيها بمجرد دعواه الافراط في التقوى وشدة التمسك بدينه . لان هذا الامر لا يقتضي تعباً ولا نصباً ولا عقلاً ولا ادباً ولا فضة ولا ذهباً . سيادة عظمى تشرى بثمن بخس وهو قليل من الشعوذة . فتصبح الامة التي تسود بها مبادئ التعصب الديني امة الكسالى والمرضى والعجزة والقاصرين لان هؤلاء هم المقربون واما القادرون النافعون الذين لا تطاوعهم نفوسهم على اتيان الصغائر فبعيدون او مبعدون . هؤلاء يريدون شد الامة الى فوق واولئك يشدونها الى اسفل . ومن نواميس الطبيعة انه اذا استوى جذب جسم من جانبيه بقي الجسم في موضعه الى الأبد

أثرهما في مصر

هذا ما نقوله في التعصب الجنسي والتعصب الديني على وجه الاجمال . وهو يطلق على كل قوم في كل بلد . فلنعد الآن الى مصر لنرى آثارهما فيها ولو كان غرضنا من هذا الموضوع مساً بطرف الاصبع لكي نختمه بقولنا لاخواننا المصريين مجاملة وتزلفاً ان لا نعصب في مصر او لو كان غرضنا التحامل عليهم بنسبة التعصب اليهم لما كنا كتبنا في هذا الموضوع الصعب حرفاً واحداً . ولكن مصر تعرف الجامعة كما ان الجامعة تعرفها . وقولنا هنا (مصر) نريد به قراء الجامعة في مصر وهم من نخبة اهل الفضل والوجاهة والادب فيها . فهم يعلمون ان الجامعة لا غرض لها في ما تنشره الا بسط ما تعتقده وتراه صواباً . ولما بلغتنا الى هنا اصداء تلك الجليلة التي ثار غبارها في الصحف الاوروبية

والمصرية جالت في نفسنا امور راينا من الفائدة نشرها دون تزلف ولا تحامل حسب عادتنا . ونحن على ثقة من ان قراء الجامعة في مصر يرضون عن اللهجة التي نخطبهم بها هنا . لان العقلاء يعلمون ان (صديق الانسان من صدقه لا من صدقه) فان الذي يصدقنا انما يهديه خلاصة اخلاص قلبه واما الذي يصدقنا دون ان يصدقنا فقد يكون تصديقه مقروناً بالرياء في اكثر الاحيان

فنقول . ان المراد بالتعصب الذي تنهم به الصحف الاوروبية مصر هو (التعصب الديني) وهي تسميه Fanatisme ومعنى (فنانيزم) عندهم (حماسة شديدة لتغليب دين على دين) فهذا التعريف للكلمة الفرنسية اشد من التعريف العربي كما تقدم اذ تعريف التعصب في اللغة (كون الانسان شديداً غيوراً في الدين ذاباً عنه) . والفرق بين التعريفين ان التعريف الفرنسي يجعل المتعصب مهاجماً والتعريف العربي يجعله مدافعاً . ولكن التعريف اللغوي قلما يهمننا عند نسبة الاوروبيين التعصب الى مصر اذ المراد ان نعلم ما يقصدون به من هذا (التعصب) لا ان نعلم تعريفه عندنا او عندهم . فان التعريف العلمي او اللغوي لا يخرج عن كونه كلاماً في كلام والمهم ان نقف على المعنى الذي ينسب اليه ذلك الكلام . فالساسة الذين يهتمهم ان تظهر مصر لدى اوروبا والعالم بمظهر التعصب انما يريدون بقولهم هذا المراد

(ان المصريين ثاروا على الاجانب قبل دخول الانكليز الى مصر لتعصبهم في الدين اي لرغبتهم في تغليب دينهم على باقي الاديان وكرهتهم كل من لم يكن منهم . وهم حتى الآن متعصبون اي يكرهون من لم يكن على دينهم . فاذا سُلطوا عليه او اذا القيت اليهم مقالات انفسهم جاروا وشطوا . فهم غير اهل لان يحكموا انفسهم بانفسهم)

هذه التهمة قد يكون فيها شيء صحيح من وجه ولكنها فاسدة من وجوه . فالجواب عليها يحتمل وجهين متناقضين . سلباً وإيجاباً

لقد عشنا في مصر نحو عشر سنوات خبرنا في اثنائها اشياءها واشخاصها حق الخبرة . فقد سمعنا في حقولها النضيرة ومزارعها القطنية الجميلة وراينا الفلاح المصري المسكين محنياً الى الارض امه الخنوع يعمل في الحرث والزرع طول النهار بلباس رث وقوت لا يتجاوز البصل وخبز الذرة . فهو يعمق ويتعب ويضئ وراء جاموسه لكي يجمع غيره من عرق جبينه الثروات الطائلة . تغيب عليه الشمس وهو وامرأته وراء المحراث فيوقف العمل لان الله اطفأ مصباحه ثم يتوضأ ويفرش عباءته فيصلي عليها ثم يأخذ خبزه وبصله ومشه وياكل

مع امرأته وبعد ذلك يرقد حيث اكل الى الصباح لاستئناف عمله . فكانه صنف من الناس تنبتة الارض فيبقى لاصقاً بها . ولا نبيه له الا بعض فلاحى فرنسا في عصر لا بروير حيث وصفهم يقول : اقتربت من الحقول فرايت فيها حيوانات تسعى . هي سوداء تدب في عملها على الاربع . ولم ادر انهم بشر مثلنا الا حين رايتهم يقفون منتصبين وشاهدت وجوههم . وقد ذهب وصفه هذا مثلاً

ان عدد سكان مصر عشرة ملايين نفس . وربما كان منهم ثمانية ملايين من هؤلاء الفلاحين السذج المساكين الذين مرت على رؤوسهم جميع زوايج التاريخ من زمن الفراعنة حتى اليوم فاجترفت كل شيء في سبيلها وابتقتهم هم يتوارثون خلفاً عن سلف حالتهم وصبرهم ورضاهم بالقليل وخضوعهم للهيئة الحاكمة عادلة كانت او ظالمة . وما اهالي دنشواي الذين اعندوا على الضباط الانكليز وفتحوا على مصر هذا الباب الا من اولئك الفلاحين فالآن اذا سألنا هل هؤلاء السذج يفهمون (التعصب الجنسي) نرى الجواب ينأى بنفسه . فان هؤلاء السذج لا يملكون شيئاً من ملاذ الحياة العقلية والادبية . وكل حياتهم تعب مادي وشقاء . فالذين عندهم هو عبارة عن حياتهم العقلية والادبية . وكانز نفوسهم ولذة قلوبهم . فاذا قلت لهم قدموا عليه . العصبية الجنسية . او . العصبية الوطنية . لم يفهموا شيئاً من قولك . فاذا كان تعصبهم دينياً . لا . جنسياً . فهم معذورون للسذاجة والفترة . والذنب ذنب الهيئة الحاكمة وكبرائهم الذين لا يرفعونهم من وهنتهم

كنت منذ ثماني سنوات في حديقة الازبكية في القاهرة واذا بفلاح من الريف جلس بجانبى . فسألته ما رايك بالانكليز يا عم . فهز راسه وقال . وماذا عمل لنا الانكليز من الشراى خوي . هم فتحوا لنا الترع وساواوا الزراعة ودبروا الفلوس . فما عملوا الا كل خير . وكانت الضوضاء يومئذ شديدة في مصر بسبب منع الحج وجريدة المؤيد تقيم مصر وتقعدها بصرخات عالية كادت تؤدى الى اقفالها لولا مداخله الجناح العالمى يومئذ . فلما حادثت فلاحى المذكور شان الحج اشتد وقال والله اننا نجتمع الوفاً ونذهب الى الحج بالقوة رغماً عنهم -- ومعنى هذا للتأمل فيه ان هذا الرجل الساذج لا يبالي ان يذهب وطنه ولكنه يغبض ويثور اذا منع من الحج

وهذه الحالة شاملة جميع الشعوب التي تركها حكوماتها في ظلمات السذاجة ولا تخلو منها روسيا وفرنسا وانكلترا نفسها . ولا نزال نذكر ثورة اهل ولاية بريطانيا الفرنسية على الحكومة منذ سنتين بسبب مسائل دينية تافهة وجهر بعض غلاتهم بالرغبة في الانفصال عن فرنسا من اجلها

ولكن هل هذه مصر كلها ؟ كلا ثم كلا . وهنا الجواب السلي الذي اشرنا اليه آنفاً .
 ففي مصر اليوم طبقات مرثية نفهم " العصبية الجنسية والوطنية " حق الفهم وتريد تقديمها على
 العصبية الدينية . فيها علماء وقضاة ومحامون وكتاب واطباء وتجار وادباء وطلبة علم وكلهم متحمسون
 للاصلاحات المدنية الاجتماعية تحمساً شديداً . واذا قيل انك لا تسمع في صحفهم الا
 الدعوة الى " العصبية الدينية " فالجواب يقتضي تحليلاً . فنقول ان لذلك سببين " الاول " .
 انزواء اكثر اهل الفضل والعقل في الزوايا لانفتهم الاشتغال بالسياسة اليوم او سجنهم
 انفسهم في مناصب عليا لا تسمح لهم باسماع الناس اصواتهم في الصحف . وان محاكم
 القاهرة العليا تضم منهم بضعة يحق لمصر ان تفتخر بهم حقيقة . ولنا نذكر هنا العلامة
 المرحوم الشيخ محمد عبده لان وظيفته والمهمة التي جعلها لنفسه دينية محضة فلا ينتظر منه
 رحمه الله ان يعمل اكثر مما عمل لمبداء العصبية الوطنية . . والسبب الثاني " ان الذين
 يدعون في الصحف الى " العصبية الدينية " اكثرهم ونريد بهم الذين يدورون الحركة من
 مبدئها يكتبون ما يكتبون ولا غرض لهم غير انشاء رأي عام ديني يقدر على تحريكه
 وادارته حينما يشاءون لاستخدامه في السياسة . اي انهم يحاولون جمع " العصبية الدينية " .
 وحصرها في منتهى الشدة لاستعمالها آلة لخدمة " العصبية الجنسية " حين الحاجة اليها .
 والذي ابتدع هذه السياسة هو جلالة السلطان بعد يأسه من عدالة اوروبا يوم اخذت
 اليونان ثساليا وفرنسا تونس وانكلترا مصر (١) فاكثروا الذين يكتبون في الصحف المصرية
 في الاسلام والجامعة الاسلامية والعصبية الاسلامية يكتبون وهم مقتنعون بعكس ما
 يكتبون . والذين يمثلون الرأي العام المصري الصحيح منهم قليلون . وكمن مرة كنا نحدث
 بعض الرصفاء في مسائل كهذه المسائل فكانوا من رابنا في كل وجوها ثم نراهم عند الكتابة
 يكتبون عكسها . فالجامعة الاسلامية ليست اليوم في مصر آلة دينية كما تفهمها جرائد
 اوروبا بل هي آلة سياسية . ولكن من سوء الحظ ان الشعب لا يفهم ذلك فبزاد تمسكاً
 بمبادئ الساذجة

وقد قرأنا في جرائد مصر ان بعضاً من اكابر المصريين الفوا شركة لانشاء جريدة
 جديدة كبرى . فالجامعة لنتمنى ان يكون بدء تاريخ هذه الرصفة الجليلة الجديدة بدء
 عصر جديد لمصر ينزل فيه اهل العقل والفضل من ابنائها الى ميدان العمل لابقاف تيار في
 الافكار وانشاء تيار آخر فيه مصلحة جميع سكان مصر خصوصاً مصر نفسها (ستأتي البقية)

(١) راجع كتاب " مستقبل تركيا " للسيامي الفرنسي غيريل شارم وهذا رايه